

### كالتغريب والطفرات والسلوك الشاذ .

ومن الواضح ان الذهن يخلق بعض هذه الكيانات المميزة ، فبالرغم من انها تبدو وكأن لها وجودا موضوعيا فهي لا تتواجد الا في عالم التصور ولنضرب مثلا : جماعة من البشر التي تعيش في مساحة معينة ترسم حدودا بين ارضها وبين الاراضي المجاورة لها من جهة ومن جهة اخرى تطلق اسم « ارض المتوحشين » على ما وراء اراضيها . ولو شئنا ان نصوغ هذا بكلمات اخرى لقلنا ان هذا العرف المتبع في العالم كله والذي ينسب المكان المألوف « الينا » وامكان غير المألوف فيما وراء مكاننا « اليهم » ما هو الا اداة لتشكيل فوارق اقليمية قد تكون في منتهى التعسف : وانا استخدم كلمة تعسف لان الجغرافية التخيلية من النوع الذي يفصل بين « ارضنا - ارض المتوحشين » لا تتطلب من المتوحشين الاعتراف بهذه الفواصل فيكفي لنا ان نقيم حواجز في فكرنا حتى يصير الآخرون « هم » وفقا لذلك ونعتبر اقليمهم وفكرهم على انه مبادئ لما عندنا . وتستمد المجتمعات المعاصرة والبدائية الى حد ما عنصرا من هويتها بصورة سلبية . فمن المرجح ان المواطن الاثيني كان يشعر سلبيا بأنه غير متوحش كما كان يشعر ايجابيا بأنه اثيني . ويلزم الحدود الاقليمية التي تحدثت عنها فواصل اجتماعية وعرقية وثقافية معززة . فشعور الانسان بأنه ذير اجنبي يبقى مبنيا في الغالب على رؤية غير دقيقة عما يتواجد «هناك» فيما وراء اقليمه . وتتشابك كل انواع الفرضيات والتداعيات والتصورات في رسم المكان الغريب وغير المألوف الذي يتواجد خارج مكاننا .

لقد أشار الفيلسوف الفرنسي « جاستون باشلارد » Gaston Bachelard في تحليله لما سماه بالابداع في لغة المكان ، الى ان داخل البيت يكتسب دلالات توحى بالالفة والخفية والطمأنينة ، وهذه الدلالات قد تتجسد في واقع البيت او في خيالنا ، ولكن اقترانها بالبيت ينبع من تجاربنا . فالبيت كمكان موضوعي بزواياه واروقته واقببته وغرفته اقل أهمية مما يقترن به من احياءات ومشاعر يمكننا ان نحس بها ونعبر عنها : فنصور البيت مسحورا او مسكونا ، ذا جو عائلي بهيج او نظامي صارم وما شاكلة . وهكذا يكتسب المكان شحنات عاطفية ومعنوية من خلال عملية ابداعية تتحول فيها امتدادات المكان المجهولة وفراغاته الى مغزى : وتحصل العملية نفسها عندما نتعامل مع الزمن ، فأكثر ما يرتبط ذهنيا او يعرف عقليا عن حقبات تاريخية « منصرمة » او « في البدء » او « في اخر الزمان » فانها من صنع المخيلة، فمع ان لتعبير زمن منصرم عند مؤرخ يتعامل مع المملكة الوسطى في تاريخ مصر القديم معنى واضح ، الا ان هذا المعنى لا يقضي على العنصر التخيلي وشبه الخيالي الذي نحس به مندسا في مفهوم الزمن البعيد المختلف عن زماننا . فلا شك ان الجغرافية التخيلية والتاريخ التخيلي يساعدان الذهن على تكثيف وعيه الذاتي من خلال تبلور